كلمة الأب هادي محفوظ، رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

حفل التخرج

٢٦ تموز ٢٠١٣

---

١. "ورأى الله أنّ ذلك حسنٌ". على وقع هذه الجملة في سفر التكوين، في الصفحات الأولى من الكتاب المقدّس، راحت رواية خلق الكون والإنسان تشقّ طريقها إلى كلّ قارئ. تلك الرواية جميلة، لأنّها، من ناحية، تتحدّث عن جمالات الخلق، ولأنّها، من ناحية أخرى، تولّد الفرح في نفس كلّ قارئ هنيّ يسمح لجمال خلق الله بالدخول اليه، ناقلاً إليه فرح ذلك الذي تفنّن في خلق الكون والإنسان، ذلك الذي كان، بعد كلّ خلق، يرى أنّ ذلك حسنٌ. وكان اصرار وتأكيد على جمال خلق الله، فردّد الكاتب هذه الجملة بعد كلّ خلق، وخطّها سبع مرّات. ولكنّ اللافت هو أنّه في المرّة الأخيرة، أي بعد خلق الإنسان، زاد عليها "جدّا"، فقال: "ورأى الله أنّ ذلك حسن جدًّا". فقمّة جمالات الخلق هي الإنسان.

تلك اللوحة الرائعة، لوحة البدايات، تطلّ بطيفها على احتفالنا هذه الليلة، فحولنا الطبيعة تهمس جمالاً، وأمامنا الإنسان خليقة الله يبدع علمًا وفكرًا فيتألّق. فتنجلي الصورة عن جمال تلو جمال، أستوقف سبعة منها، بالعودة الى جمالات الأسبوع الأوّل من التاريخ، اسبوع الخلق في أيّامه السبعة.

٢. فأوّل جمال أودّ الكلام معكم عنه، هو لبنان. أكلّمكم عنه، وكلّنا نعرف كم هو يتميّز بلدنا بجماله وكم من قيم حميدة ينعم بها مجتمعنا. إنّ لبنان هو الأرض والبحر والأفق والسماء

حيث نعيش، ومن هوائه نتنشّق لنتابع الحياة. ولدعوة كلّ إنسان على الأرض مكان تتحقّق فيه، ونحن أعطيناه، أعطينا لبنانَ، مكانًا لدعوتنا على الأرض. أيّها الخرّيجون الأحبّاء، أعلم جيّدا أنّ الكثيرين يسلّطون الضوء على حالتنا المضطربة وعلى مشاكلنا الكثيرة على مستويات مختلفة. ولكن، لا تخافوا. لا تسمعوا لهؤلاء، بل كونوا واقعيّين ومتفائلين في الوقت عينه. نعم هناك مشاكل. ولكن لا مجتمع على الأرض بدون مشاكل كبيرة. أيّها الخرّيجون الأحبّاء، في النظر الى لبنان، أدعوكم الى سماع صوت الذين سوف اذكرهم في كلامي عن الجمال الثاني والثالث والرابع والخامس. أحبّوا لبنان كثيرا، وتعاطوا معه بكلّ ايجابيّة، ومهما حصل فيه، عودوا فانطلقوا انتم، وانطلقوا به الى الامام. هذا هو قدر كلّ إنسان عاقل على وجه الأرض. الانطلاق دوما الى الأمام والانطلاق دوما الى الأمام، فلا يستطيع أحد ايقاف التاريخ، والله سيّد التاريخ. جميل لبنان وجميلون أهل لبنان.

٣. هي هذه الإيجابيّة، مع محبّة الآخر، التي ينادي بها على الدوام من يحمل فوجكم اسمه، ايها الخريجون الأحبّاء. إنّه قداسة البابا فرنسيس. وهذا هو الجمال الثاني، جمال شخصيّة قداسته، الناصع البياض، بما يحمل من إيمان وقناعة وتصرّف ورسالة. نراه يحنو على الأضعف في المجتمع، ولا ينفكّ يعلّمنا أهميّة محبّة الآخر والاهتمام به، وخاصّة الاضعف الذي قست عليه الحياة. هي امثولة تصلح لكلّ من يصرّ على تأليه القوّة والسلطة، فيما المحبّة والحنوّ على الأضعف هما السلطة الحقيقيّة التي ترفع الإنسان. هذا الاسلوب واضح عند قداسته وقد تميّز به، وبه يطبع الكنيسة والعالم. وهو اليوم في البرازيل، في إطار الأيّام العالميّة للشباب، يعلّم ما هو جميل وما ينقل الجمال والراحة الى النفوس. يتوجّه الى الشباب في محطات عديدة، لينقل اليهم رسالة الفرح. اوّل البارحة، قال في عظة القداس: "لنتشبّث بالرجاء ... لنندهش دوما بالله ... لنعش بفرح". وقال: "كم من المصاعب في حياة كلّ إنسان، في شعبنا، في جماعاتنا. ولكن، مهما ظهرت هذه المصاعب كبيرة، لا يتركنا الله نرزح تحتها. حيال الإحباط الذي قد يضرب في الحياة ... أريد أن أقول بكلّ قوّة: لتكن الحقيقة التالية دوما في قلبكم: الله يمشي بقربكم، وهو

لا يترككم أبدًا. لا نفقدنّ أبدًا الرجاء". هذا هو الصوت الذي ادعوكم الى سماعه عندما تفكّرون بلبنان. فكم يصلح هذا الكلام لشبيبة لبنان، لكم أيّها الخرّيجون الأحبّاء. لا تفقدوا أبدًا الرجاء واحبوا وطنكم.

٤. كلّمتكم عن جمال لبنان، وعن جمال مثل قداسة البابا فرنسيس، رأس الكنيسة الكاثوليكيّة. أودّ الآن أن أكلّمكم عن الجمال الثالث، جمال حضور من أعطي مجد لبنان، كاردينال الكنيسة الكاثوليكيّة، ابينا ورأسنا وراعينا، صاحب الغبطة والنيافة البطريرك الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي الكليّ الطوبى. فجميل أن ننعم بحضوره على رأس هذا الاحتفال، هو من ترشح الصلابة منه في زمن الارتجاجات. هو من تخرج منه بشرى الراعي وكلمة الحقّ في زمن المنذرين بالويلات ولافظي كلام قلّة الحقّ. هو الذي يتعب التعب عنده وهو لا يتعب. في هذا الاحتفال، نختتم سنتنا الجامعيّة، فما أجمل أن نتيقّن أنّنا بدأناها أيضًا مع غبطته، في القدّاس الافتتاحي في ١٣ تشرين الثاني الفائت. يومها بارك غبطته إنجاز القسم الاول من مشروع الجامعة الخضراء. ونهتف اليوم جميعنا، كما هتفنا يومها، مع القديس بولس في رسالته الى أهل فيلبي: "فاستقبلوه اذًا في الربّ، بكلّ فرح، وعاملوا أمثاله بالاكرام" (فل ٢: ٢٩).

نشكرك يا صاحب الغبطة لأنّك تفضّلت وقبلت الدعوة وأتيت تبارك الجامعة وهذا الاحتفال وهذا الحضور والخريجين الأحبّاء. أتيت تبارك بناء جديدا يزيد الطابع الحضاريّ على جامعتنا الحبيبة. أيّها الخرّيجون الأحبّاء، تبصّروا كيف انتم حاضرون في فكر غبطته وهمّه، فاسمعوا ما يقوله في رسالته العامة الاولى "شركة ومحبة" إذ يتوجّه الى الشبيبة، إذ يتوجّه اليكم، قائلاً: "إنّكم تحملون عمر الطموحات واكتشاف مشروع الحياة. أتطلّع معكم الى المستقبل وانتظاراته وتحدّياته. أنتم أمل الكنيسة والعائلة والمجتمع، أنتم الجيل الذي يكوّن المواطنين المخلصين. تكون غدًا الكنيسة والعائلة والمجتمع والوطن ما انتم عليه اليوم. أنتم المستقبل" (عدد ٥١). وعندما يتكلّم عن الاقتصاد، أنتم أيضا حاضرون، فهو يقول: "بالنموّ الاقتصاديّ، نخلق فرص العمل ويثبت شبابنا في ارضهم، مفجّرين طاقاتهم الإبداعيّة في لبنان دون أن يهجروه" (عدد

٦٣). مرّة جديدة، هي دعوة الى الإيجابيّة والى بنيان الذات والحياة بالانطلاق الدائم الى الامام. هذا هو ايضا صوت ادعوكم الى سماعه عندما تفكّرون بلبنان.

٥. وفي الكنيسة المارونيّة رهبانيّة أسّست جامعتكم وهي تديرها. فانظروا الى اسمها. في اسمها، الرهبانية، وفي اسمها لبنان، وفي اسمها المارونية. إنّها الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة. وهي موضوع كلام الجمال الرابع. جزّأت الاسم لأبيّن كليّتها. فهي رهبانيّة القدّيسين شربل ورفقا ونعمة الله واسطفان. وهي رهبانية أي إنّها تسعى بشكل دائم الى الكمال وإنّها، كرهبانيّة وكتجسيد لرسالة سامية، أعلى من أيّ فرد فيها، فديناميّة العمل فيها هي ما شكّل الجوّ الذي نمت فيه قداسة قديسيها. وهي هذه الديناميّة التي جعلتها تتوسع وتنتشر وتؤسس المؤسسات المختلفة، ومنها الجامعة. ومن ينظر الى الجامعة يفهم كثيرا من تاريخ الرهبانية وديناميتها. حجارتها الصفراء التي تشهد للعراقة والأصالة والتاريخ تحوي هي أيضا التطور وتحاذي الأبنية الجديدة المماشية للتطوّر والنموّ. فإنّها جامعة نمت وكبرت وما زالت، بقوة الله، تنمو، بشكل يعلو الأشخاص ويتغذى من ماويّة رهبانيّة القديسين. والرهبانيّة لبنانيّة، فلبنان جزء من فئة دمها. معه ومع اللبنانيين عاشت الحلو والمرّ. ورافقت اللبنانيين في بلدان الانتشار. فتاريخها شاهد على مساهمتها الفعالة في قيام لبنان وبنائه ونموّه وهي صخرة من صخور لبنان الكبيرة التي لا تتفتت. أدعوكم ايها الخريجون الأحباء أن تقتدوا بهذا الاداء فتعملوا من اجل قيام لبنان وبنائه ونموّه. هنا أحيّي قدس الأب العام الأباتي طنوس نعمه الرئيس العام للرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة السامي الاحترام، شاكرًا إيّاه على حضوره وعلى بركته وعلى حكمته وعلى الطيبة التي يزرعها في الرهبانيّة. كما أشكر حضرة الآباء المدبرين، الذين، مع قدس الاب العام، يسهرون على شؤون الرهبانيّة والجامعة.

٦. وأصل الى خامس الجمالات، الى موقع جامعة الروح القدس – الكسليك. يتبادر بالطبع الى الأذهان أوّلاً موقعها الجغرافيّ، فهو موقع جميل جدًّا على كتف خليج جونية المبهر، تحت نظر التلال الجميلة التي تتربّع سيدة لبنان على إحداها. وهنا أريد أن احيّي حضرة الاستاذ انطوان

افرام رئيس بلدية جونيه، والمجلس البلدي، شاكرا ايّاهم على كلّ التعاون. ولكنّني قصدت أكثر، بموقع الجامعة، مكانها الحاليّ بالنسبة الى سلسلة حلقات تاريخها، من جهة، وبالنسبة الى المجتمع الجامعيّ العالميّ والمجتمع اللبنانيّ من جهة أخرى. جامعة الروح القدس – الكسليك هي ابنة سلالة عريقة في التعليم العالي نمت في خط التطوّر في التواصل ووصلت الآن الى اثنتي عشرة كلية واربعة معاهد عالية، وفاق عدد طلابها هذه السنة الثمانية آلاف طالب. وزاد البناء تلو البناء والبرنامج تلو البرنامج. وتبنت الجامعة اكثر فاكثر اللغة الانكليزية، مع اللغة الفرنسية، تماشيًا مع هويّة لبنان اللغويّة وتطوّرها. وها السلطات الجامعيّة والرهبانيّة قد اقرّت المخطّط التوجيهيّ العمرانيّ على قرابة الخمس عشرة سنة القادمة، والذي سيجعل من الجامعة، إن شاء الله، تحفة جامعية عمرانيّة خضراء في العالم الجامعيّ. وإنّ جامعتكم، أيّها الخرّيجون الأحبّاء، تركب ركب الموجة الجامعيّة العالميّة في ما يخصّ البرامج وطرق الحوكمة والعلاقات الدولية ورابطة القدامى والتكنولوجيا وانظمة الجودة والاعتماد. تعلمون جميعكم كم كان فرحنا كبيرا، في العام المنصرم، اننا حصلنا على الاعتماد المؤسساتي الاوروبي، وصنفنا البنك الدولي بين الجامعات الخمس الأولى في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. واننا نتهيّأ لورشة الاعتماد الأميركيّ الذي أرجو أن يبدأ في القريب العاجل. همّنا في كلّ ذلك، أيّها الخرّيجون الأحبّاء، أن يكون اسم جامعتكم زهيّا برّاقا. تذكّروا أنّه الاسم الذي يعلو شهادتكم، اسم جامعة الروح القدس – الكسليك، فكلّما زاد شأنه، زاد شأن شهادتكم. لذلك أنتم تستفيدون من كلّ خير يتحقق في الجامعة، حتّى بعد تخرّجكم منها. لقد ارتبط اسمها باسمكم على الدوام، وهذا مدعاة فخر لها.

٧. أيّها الخريجون الأحبّاء، في اليوم السادس، خلق الله الإنسان، أعظم المخلوقات. وانتم الجمال السادس الذي استوقفه. وأنتم الصورة الأبهى في هذه الأمسية. أنتم فخر أهلكم وفخر جامعتكم وفخرنا جميعا. انتم فوج ومجموعة ولكنّكم أفراد، فقصّة كلّ منكم جميلة، مهما اعتراها من شوائب. قصّة تمرّ بالطفولة والمدرسة والجامعة والقرية والمجتمع والوطن. قصّة تفاعل

أهلكم معها ولا زالوا يتفاعلون. فأخالهم جميعا الآن يحبسون الدمعة متأمّلين بسرّ الحياة ينمو فيكم. لهم كلّ الشكر منكم ومنّا ولهم كلّ التقدير والتهنئة. قصّة كلّ منكم سرّ فريد في سرّ التاريخ وسرّ البشر. جلوسكم على هذه المنصّة، بهذا الشكل، معبّر جدّا. فأنتم في اوّل خطوة خارج الجامعة، فهي وراءكم الآن، وانتم منها منطلقون، مزوّدين بالعلم والتكنولوجيا وصقل الشخصيّة والقيم التي حاولت زرعها فيكم. وادارة الجامعة، بمجلسها واداريها، هي امامكم مباشرة في رمزيّة محاولة مساعدتكم في الانطلاقة الحياتيّة. وانتم امام اهلكم واصدقائكم واصدقاء الجامعة، تحت أنظارهم، يرونكم تنطلقون. وفي الوقت عينه، انتم تنظرون الى الأفق البعيد، فانطلقوا وافرحوا ولا يحدّنّ طموحكم حدود. فهو ليس أفق الخروج من لبنان، بل هو أفق النظر الطموح في الحياة والانطلاق الدائم الى الأمام. أيها الخريجون الأحباء، أنتم لوحة جميلة جدا، جميعكم وكلّ منكم. وانتم لوحة جميلة بما انتم عليه الآن وبما ستصبحون عليه في المستقبل. انتم تاريخ بدأ ويستمرّ. وفي كلّ مراحل تاريخكم، حافظوا على جمال قصّتكم ولوحتكم. واريد أن اعود فاهنّئ متخرجة من بينكم، هي ملكة جمال لبنان، الآنسة رينا شيباني، على حيازتها هذا اللقب، وعلى الكلمة النابعة من القلب التي القتها باسمكم وعلى القيم العائلية والانسانية والمسيحية التي تشهد لها.

٨. وارتاح الله في اليوم السابع من الاسبوع الأول. فأود الكلام معكم عن الجمال السابع، جمال الراحة، أو جمال الطمأنينة أو جمال حسن النظر. أيّها الخرّيجون الأحباء، تعلّموا كيف ترتاحون لتحسنوا النظر الى الحياة وتستعذبوها. فكلّ ما لدينا جميل.

٩. بدأت كلمتي بالعودة الى بدايات الكتاب المقدّس وبيّنت جمالات ننعم بها وهي تعكس جمالات الخلق في البدايات. فتلمع الآن جملة، من محور الكتاب المقدس، أو من قلبه، أي من الانجيل في العهد الجديد، حيث قال بطرس للربّ، عندما شاهد بهاء مجده وجمال الحالة التي عاشوها معه على جبل التجلي، قال له بطرس: "حسن لنا ان نكون ههنا". كلّ هذه الأجواء تقودنا الى خاتمة الكتاب المقدّس، في سفر الرؤيا، حيث الكلام عن أرض جديدة

وسماوات جديدة، أي عن حالة جميلة وجديدة. فأنتم، أيها الخريجون الاحباء، قادرون على المساهمة الكبيرة في خلق هذه الارض الجديدة والسماوات الجديدة. انتم بارادة الخير وارادة الانطلاق الدائم الى الامام، تستطيعون تحقيق المعجزات وتبديل واقع المجتمعات والشعوب. فاذا نظرنا الى احتفالنا هذه الليلة، ورأيناكم تتألقون بما تحملون من جمال حياة وطموح وديناميّة، وحولكم الجمالات التي تكلّمت عنها، ننظر الى العليّ ونشعر أنّ كاتبا بقربه يكتب الآن ويقول: "ورأى الله أنّ ذلك حسن، جدًّا". وشكرًا.